

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق
المصدوق الأمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين
الصادقين ، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين ، أما
بعد :

فإن الحديث في الصفحات التالية سيدور حول خصلة ذميمة ،
وعمل مردول ، ينتشر مع الأسف في أوساط الناس ، ويشيع في
كثير من منتدياتهم ومجالسهم ، ويكثر في علاقاتهم ومعاملاتهم ،
وقلَّ أن يسلم منه صغير أو كبير ، والناس فيه ما بين مقلِّ
ومستكثر إلا من رحم ريك وقليل ما هم .

ذلكم هو الكذب ، الذي سيكون محور الحديث ، وذلك من
خلال الوقفات التالية :

- تعريف الكذب .
- ذم الكذب وأهله .
- من مظاهر الكذب .

-دوافع الكذب.

-الحث على الصدق.

-الأموال المعينة على الصدق.

-أثر الصدق في سعادة الفرد.

-أثر الصدق في سعادة الجماعة.

فلعل الله أن ينفع بهذه الكلمات ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

كما أسأله أن يرزقنا لسان صدق ، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين المتقين الصادقين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والله أعلم.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ١٤١٥/٣/٢٨ هـ

ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

تعريف الكذب

قال ابن منظور: «الكذب نقيض الصدق. كَذَبَ، يَكْذِبُ، كَذِبًا، وَكَذَبًا، وَكَذِبَةً، وَكَذِبَةً هَاتَانِ عَنِ اللَّحْيَانِي. وَكَذَابًا وَكَذَابًا»^(١).

وقال-أيضاً: «ورجلٌ كاذبٌ، وَكَذَّابٌ، وَتَكْذَابٌ، وَكَذُوبٌ، وَكَذُوبَةٌ، وَكَذِبَةٌ مِثْلُ هَمْزَةٍ، وَكَذِبَانٌ، وَكَيْدَابَانٌ، وَكَيْدَابَانٌ، وَمَكْذِبَانٌ، وَمَكْذِبَانَةٌ، وَكُذِّبْتُ، وَكُذِّبْتُ، وَكُذِّبْتُ»^(٢).

وحقيقة الكذب هي الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع، وليس الإخبار مقصوراً على القول، بل قد يكون بالفعل، كالإشارة باليد، أو هز الرأس، وقد يكون بالسكوت^(٣).

(١) (٢) لسان العرب لابن منظور ١/٧٠٤.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، وانظر: كتاب الأخلاق لأحمد أمين، ص ١٩٩.

ذم الكذب وأهله

لا شك أن الكذب عمل مردول، وصفة ذميمة؛ فهو من خصال النفاق، ومن شعب الكفر، بل إن الكفر نوع من أنواعه؛ فالكذب جنس، والكفر نوع تحته^(١). والكذب من أسباب رد القول، ونزع الثقة من الكاذب، والنظر إليه بعين الخيانة. والكذب دليل ضعة النفس، وحقارة الشأن؛ وخبث الطوية.

والكذاب مهين النفس، بعيد عن عزتها المحمودة. والكذاب يقلب الحقائق؛ فيدني البعيد، ويبعد القريب، ويُقَبِّحُ الحسن، ويُحَسِّنُ القبيح.

قال النبي ﷺ محذراً من الكذب: «وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن

(١) انظر الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم، ص ٦٠.

الرجل لِيَكْذِبُ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١).

قال الماوردي رحمه الله: «والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عاقبته، وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة؛ ولذلك قيل: من قلَّ صدقُه قلَّ صديقُه»^(٢).

وقيل في ذم الكذاب: «لا تطلبوا الحوائج من كذاب؛ فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ويبعدها وإن كانت قريبة»^(٣).

وقيل: «ليس لكذوب مروءة، ولا لضجور رياسة»^(٤).

«وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت قط، فقال: أما هذه فواحدة»^(٥).

«وقيل في منشور الحكم: الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق

(١) رواه البخاري ٤٢٢/١٠، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٢.

(٣) (٤) المحاسن والمسائى لإبراهيم البيهقي، ص ٤٤٣.

(٥) المحاسن والمسائى لإبراهيم البيهقي، ص ٤٤٣.

مالك ، والكذاب يسرق عقلك»^(١) .

وقال بعض الشعراء :

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير وأبعد بالبهاء من الرجال^(٢)

وقال آخر :

إذ ملرء أخطأه ثلاثٌ	فِعْهُ ولو بكفٌ من رمادٍ
سلامةٌ صدره والصدقُ منه	وكتمانُ السرائرِ في الفؤاد ^(٣)

وقال الحسن : « الكذب جماع النفاق »^(٤) .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « إياك أن تستعين بكذوب؛ فإنك إن تُطع الكذوب تهلك »^(٥) .

(١) (٣) أدب الدنيا والآخرة ، ص ٢٦١ .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ، ص 53 .

(٤) مساويء الأخلاق ومذمومها للخرايطي ، ص ٦٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

وقال ابن حبان: «اللسانُ سبغُ عقور؛ إن ضبطه صاحبه سلم، وإن خلى عنه عقره، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم، فيتهم فيما يعلم؛ لأن رأس الذنوب الكذب، وهو يبيد الفضائح، ويكتم المحاسن»^(١).

وإن مما يؤسف عليه في هذه الأزمان المتأخرة كثرة الكذب، وقلة الصدق؛ فما أقل من يصدق في حديثه، وعلاقاته، ومعاملاته.

(١) روضة العقلاء، ص ٥٣.

من مظاهر الكذب

من مظاهر الكذب المنتشرة بين الناس ما يلي :

١- الكذب على الله ورسوله ﷺ : كحال من يفتي بغير علم، ويقول على الله ورسوله الكذب، فيُضِلُّ، ويُضِلُّ، ويُهْلِكُ، ويُهْلِكُ.

قال-تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل: ١١٦).

وكحال من يكذب على رسول الله ﷺ فتجد من يكذب عليه؛ للترغيب أو للترهيب، أو لترويج بدعة أو ضلالة، أو غير ذلك.

قال ﷺ في الحديث المتواتر: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

(١) رواه البخاري ٣٥/١، ومسلم ١٠/١ برقم (٤).

٢- الكذب في البيع والشراء : كحال من ينفق سلعته بالأيمان

الكاذبة ، ومن يغش المشتري بجودة بضاعته.

فما أكثر ما يقع هذا بين الناس ، مع عظم خطورته وشدة

الوعيد فيه.

قال ﷺ: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ، محقة للكسب»^(١).

وقال: «من غشنا فليس منا»^(٢).

وقال: «من غشَّ فليس مني»^(٣).

٣- الكذب لإفساد ذات البين : فبعض الناس-عيادًا بالله-لا

يهدأ له بال ، ولا يقرّ له قرار-حتى يفسد ذات البين ، ويفرق

شمل المتحابين ، فتراه يختلق الأقاويل ، وينسج الأباطيل تلو

الأباطيل؛ ليفسد بذلك ذات البين ، ويحل محلها القطيعة والبين.

فهذا العمل بلية عظيمة ، ورزية جسيمة؛ فكم تقطعت

(١) رواه البخاري ٧٨/٣ ، ومسلم ٤٤/١١ .

(٢) رواه مسلم ٩٩/١ برقم (١٠١) .

(٣) رواه مسلم ٩٩/١ برقم (١٠٢) .

لأجله من شواجر، وكم تَفَصَّمتُ من روابط، وكم تحاصَّت من أرحام.

ولا يقوم بهذا الصنيع إلا دنيء النفس حقيرها، فإصلاحه عزيز، والحيلة معه قليلة، وصدق من قال:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة^(١)

٤- الكذب لإضحاك السامعين وتشويقهم: فتجد من يكذب في مجامع الناس ومجالسهم؛ حتى يُصدَّر في المجلس، ولأجل أن يستظرفه الناس، ويستطرفوا حديثه، ويستعذبوه؛ فتراه يأتي بالغرائب، ويغرب في العجائب، ويسوق ما لا يخطر ببال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال.

٥- الكذب للمفاخرة في إظهار الفضل: فهناك من يكذب؛ ليفاخر أقرانه، ويظهر فضله عليهم، فتراه يدعي العلم، ويظهر الفضل، ويتشدد بكثرة الأعمال والإحسان إلى

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر ٤٠٤/١ وينسب إلى منصور الفقيه.

الناس ، وهو عاطل من ذلك كله؛ فلا فضل لديه ، ولا علم عنده ، ولا إحسان يصدر منه ، وإنما يكذب في ذلك كله؛ ليظهر فضله ، ويفاخر أقرانه.

ومنهم من يكون صاحب فضل وإحسان ، ولكنه يبالي في وصف أعماله ، وأفضاله ، وإحسانه إلى الناس ، مما يدخله في باب الكذب ، ويجعل الأذان تَمُجُّه ، والقلوب تنفر منه.

٦- الكذب على المخالفين؛ تشفياً منهم ونكاية بهم: فهناك من إذا خالفه أحد ، أو كان بينه وبين أحد عداوة - بدأ يبحث عما يشفي غليله من هذا المخالف أو المعادي ، فتراه يكذب عليه ، ويلصق التهم به ، ويغري به عند أصحاب المناصب وأرباب الولايات؛ رغبة في إلحاق الأذى بهذا المخالف أو المعادي.

٧- الكذب المقرون بالحسد: فهناك من إذا رأى أحداً من الناس متفوقاً في العلم ، أو مترقياً في الفضائل ، أو غير ذلك يحسده على ذلك ، فيقلل من شأنه ، ويرميه بكل نقيصة ،

ويتهمه بما ليس فيه؛ حتى يصرف الناس عنه، ويشككهم في إخلاصه وصدقه وجدارته.

٨- الكذب في المطالبات والخصومات: فقلّ من يصدق حال المطالبات أو الخصومات، وهذا ما يشاهد مراراً وتكراراً عند الخصومات في المحاكم وغيرها، وعند حوادث السيارات، فقل أن تجد من ينصف من نفسه، ويقر بخطئه، بل تجد من يكذب؛ كي لا يكون الحق عليه؛ فيتحمل تبعته.

٩- الكذب للتخلص من المواقف المخرجة: كحال من يكذب على والديه، أو مدرسيه، أو مسؤوليه؛ خوفاً من العقاب أو العتاب.

١٠- المبالغة في القول: كحال من يبالغ في تصوير حدث أو قضية مبالغة تجعل السامع يفهم منه أكثر من الحقيقة.

١١- حذف بعض الحقيقة: كحال من يحذف من الكلام ما لا يروقه، ولا يوافق هواه؛ لأجل أن يصل إلى غاية تهواها نفسه.

أما من حذف من الكلام ما لا يخدم مصلحة عامة، أو جمع كلمة أو نحو ذلك- فلا يدخل في قبيل الكذابين، بل هو مصلح محسن.

١٢- الكذب على النفس: كمن يحاول أن يقنع نفسه بأنه بذل ما في وسعه، واستنفذ كل طاقته، لأداء ما يجب عليه؛ ليسلم من عتاب النفس وتوبيخها، وهو في الحقيقة لم يفعل شيئاً من ذلك.

١٣- الكذب لتسوية الأخطاء: فما أكثر ما يقع ذلك، فهذا يكذب ليسوغ بخله، وهذا يكذب ليسوغ قسوته، وهذا يكذب ليسوغ تقصيره أو إساءته، وهكذا...

١٤- الكذب لاستدراج العطف، وكسب المؤيدين: كحال من يكذب في مسألة الناس واستجدائهم، فتراه يظهر الفقر والفاقة، ويوهم بأن الديون قد ركبتة، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعم أنه مريض، أو يقوم على رعاية مريض، وربما حمل معه صكاً يوهم أنه معسر ومحتاج إلى المساعدة.

وكحال من يكذب لكسب المؤيدين ، أو لترويج فكرة يدعو إليها.

١٥- التملق لأرباب الثراء وأصحاب المناصب : فمن الناس من يتزلف لهؤلاء ، ويمدحهم بما ليس فيهم ، ويخلع عليهم صفات لا يستحقونها ، مع علمه أنهم أقل من ذلك ، وأنهم لا يستحقون ما أُضفي عليهم ، ولكنه يتملقهم ، ويتزلف إليهم؛ لينال عندهم مالا أو حظوةً أو جاهًا.

١٦- الكذب في دعوى المحبة والصدقة : وذلك كحال من يدعي محبة فلان أو فلان من الناس ، ويدعي لمن يقابلهم أو لبعضهم أنهم أقرب الناس إلى قلبه ، وأنهم أعزهم إليه . وإذا خلا عنهم-عضّ عليهم الأنامل من الغيظ ، وسلقهم بلسان حاد يقطر ضغينة وحقداً.

ولا ريب أن ذلك مخالف للمروءة؛ فإن من أعظم آداب صاحب المروءة أن يكون صريحاً صادق اللهجة ، مترفعاً عن النفاق والمواربة؛ فلا يبدي لشخص الصداقة وهو يحمل له

العداوة ، ولا يشهد له باستقامة السيرة وهو يراه منحرفاً عن سواء السبيل ، قال الحكيم العربي :
فسرّ كإعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا
والمراد أن صاحب المروءة لا يتخذ الظهور بخلاف ما يضمّر
عادة له ، كحال ما يفعله قوم لا تشمئز نفوسهم من الملق
والرياء.

أما إذا اقتضت الحكمة إخفاء بعض ما يضمّر من نحو
العداوة والصدقة-فذلك من مكملات المروءة.

١٧- نقل الأخبار الكاذبة: كحال من ينقل الأخبار الكاذبة
مع علمه بكذبها، فمن كان هذا دأبه فهو كذاب، ومشارك
للكذاب في الإثم.

١٨- الكذب السياسي: الذي يقوم على القاعدة الميكافيلية
التي تقول: «إن الغاية تبرر الوسيلة» أو «الغاية تسوغ

الواسطة»^(١). وهذه القاعدة الفاجرة الكافرة يأخذ بها غالبية السياسيين.

ومن الأمثلة على ذلك ما نراه من حال من يتقدمون لترشيح أنفسهم لرئاسة دولة من الدول، فترى الواحد من هؤلاء يسعى لكسب المؤيدين، واستقطاب الأصوات؛ ليفوز بالانتخابات، ويتربع على كرسي الحكم.

فتراه يسلك في ذلك السبيل ألواناً من الزيف والكذب والخداع، وتحذير الشعوب بالأمانى الباطلة، والوعود المعسولة الكاذبة.

وما إن يستولي على الأمد، ويحرز قصب السبق إلا ويتنكر لمن أيده، ويقلب لهم ظهر المجن، فيستبد بالثروات، ويتلاعب

(١) الميكاليفية أسلوب في المعاملات، يتسم بالخداع، والمراوغة، والغدر، والمخاتلة، مبني على مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة »، وهذا المبدأ ينسب إلى المفكر الإيطالي (ماكيافيلي ١٤٦٩ - ١٥٢٧) رائد هذا المبدأ، والذي سجله في كتابه « الأمير » وقدمه لأحد ملوك أوروبا في القرون الوسطى، انظر : القاموس السياسي لأحمد عطية، ص ١١٠٥-١١٠٦.

بالمقدرات ، ويسوم الشعوب سوء العذاب .

١٩- الدجل الإعلامي : الذي يقلب الحقائق ، ويُلبس على الناس ، فيرفع الأقرام ، ويضع الأعلام ، ويغري بالرزيلة ، ويزري بالفضيلة .

فيالله كم أفسد من عقول ، وكم قلب من حقائق ، وكم برأ من مفسد مجرم ، وكم نال من مصلح بريء .

٢٠- التوسع في باب المصلحة : فمن الناس من يتوسع في باب المصلحة ، فتجده يتأول لنفسه الكذب باسم المصلحة ، فيبطل الحق ، ويحق الباطل ، ويبرئ المتهم ، ويتهم البريء ؛ زعمًا منه أن يحسن صنعًا ، وأنه لم يكسب إثمًا ، وأنه يروم المصلحة ، ويدفع المفسدة .

ولا شك أن الذي يصلح بين الناس ، ويقول الخير ، أو ينمي الخير-ليس بكذاب .

أما من يتوسع في باب المصلحة ، ويرخص لنفسه الكذب فيما لا مصلحة تحته ، أو فيما هو ضرر على الآخرين- فلا شك

أنه قد وقع في المحذور شعراً أو لم يشعر.

قال النبي ﷺ : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ،
ويقول خيراً ، أو ينمي خيراً » .

قال ابن شهاب : ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس
كذباً إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث
الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها^(١) .

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرح هذا الحديث :
« قال القاضي : لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور ،
واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ما هو ؟

فقالت طائفة : هو على إطلاقه ، وأجازوا ما لم يكن في هذه
المواضع للمصلحة وقالوا : الكذب المذموم ما فيه مضرة ،
واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ : « بل فعله كبيرهم » ، « وإني
سقيم » ، وقوله : « إنها أختي » ، وقول منادي يوسف ﷺ :
« أيتها العير إنكم لسارقون » .

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٥) .

قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد الظالم قتل رجل هو عنده مُخْتَفٍ وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو. وقال آخرون منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا: المرادُ به التورية، واستعمال المعارض لا صريح الكذب، مثل أن يَعِدَ زوجته أن يحسن إليها، ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله ذلك؛ وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه.

وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك، وَوَرَى. وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه مات إمامكم الأعظم، وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غداً يأتينا مدد أي طعام ونحوه، هذا من المعارض المباحة؛ فكل هذا جائز. وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا على المعارض والله أعلم.

وأما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به في إظهار الود، والوعد بما لا يلزم، ونحو ذلك.

فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها-فهو حرام بإجماع المسلمين والله أعلم^(١).

٢١- المبالغة في المعارض: لا ريب أن في المعارض مندوحة

عن الكذب، ولكن هناك من يبالغ في المعارض، ويتوسع فيها توسعاً يخرج عن طوره، ويجعله يدخل فيها ما ليس منها، فتجده يقلب الحقائق، وينال من الآخرين، ويُلَبس عليهم، ويحصل على مآربه بالمرأوخة والمخاتلة، مما يوقعه في الكذب، فَتُفقدُ الثقة به، ومجديته.

أما إذا اقتضت الحكمة أن يلجأ الإنسان إلى المعارض-فلا بأس؛ ذلك أن الإنسان-في هذه الدنيا-معرض للبلاء ومن أشد البلاء ما يمنعك من أن تقضي حقَّ فضيلة؛ فقد يلاقي الإنسان حالاً ترغمه على أن ينطق بما يكره، أو أن يسلك في القول ما

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٥٧-١٥٨.

لم يَألف.

ولو وقف على علم الأخلاق أمام هذه الأحوال المرغمة صلباً جامداً - لضاقت سبيله ، ولوجدت بعض النفوس مناصاً للخروج عليه.

إلا أن علم الأخلاق-الذي أرسى الإسلام قواعده ، ورفع مناره-فسيحُ الصدر بمقدار ما يسع مقتضيات الحياة الفاضلة. فصدق اللهجة يعد من الفضائل؛ نظراً إلى ما هو شأنه من حفظ المصالح ودرء المفاسد ، ولو عرضت على وجه الندرة حالً يكون حديث الرجل فيها على نحو ما يعلم جالباً عليه ، أو على غيره ضرراً فاحشاً-لوجد في نظام الأخلاق مرونةً تسمح له بأن يصوغ حديثه في أسلوب لا يجلب ضرراً.

فإذا وقع الإنسان في حال لا يليق معه التصريح بأمر واقع ، ولم يكن بدُّ من أن يقول في شأنه شيئاً-فها هنا يُفسحُ له أن يأخذ بالمعاريض.

والمعاريض: هي ألفاظ محتملة لمعنيين؛ يفهم السامع منها معنى ،

ويريد المتكلم منها معنى آخر.

وإن شئت فقل: هي ألفاظ ذات وجهين، أحدهما: غير حقيقة، وهو ما يسبق إلى فهم السامع.
وثانيهما: حقيقة، وهو ما يقصده المتكلم.
فهذه الحالة لا تخرج المرء من أهل الصدق، ولا تلحقه بزمرة الكذابين.

وهذا ما يفعله الذين أشربوا صدق اللهجة متى عرفوا أن في القول الصريح حرجاً، أو خطراً^(١).

٢٢- الكذب على الأولاد: فكثيراً ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار؛ رغبةً في التخلص منهم، أو تخويفاً لهم؛ كي يكفوا عن العبث واللعب، أو حفزاً لهم كي يجِدُوا في أمر ما، أو غير ذلك...

هذه بعض المظاهر الشائعة في الكذب.

(١) انظر: رسائل الإصلاح ٢/١٠٠.

دوافع الكذب

أما دوافع الكذب فكثيرة، منها الخوف من النقد، والخوف من العقاب أو العتاب، ومنها إثارة المصلحة العاجلة، ومنها قلة مراقبة الله والخوف منه، ومنها اعتياد الكذب وإلفه، ومنها البيئة والمجتمع، ومنها سوء التربية إلى غير ذلك من دوافع الكذب التي مرَّ ذكرُ شيءٍ منها عند الحديث عن مظاهر الكذب.

الحث على لزوم الصدق

مرَّبنا الحديث عن الكذب وعن بعض مظاهره ودوافعه؛
فما أحرى بالعاقل اللبيب أن يحذر الكذب، وأن يلزم الصدق؛
فالصدق منجاة، والكذب مهوأة.

والله-سبحانه وتعالى-أمر بالصدق، وأثنى على الصادقين
قال-تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩).

وقال النبي-عليه الصلاة والسلام : «عليكم بالصدق؛ فإن
الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل
ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(١).

والصدق هو أن يخبر الإنسان عما يعتقد أنه الحق، وأنه
مطابق للواقع بلا زيادة ولا نقصان، وبلا وكسٍ ولا شطط.
وليس الإخبار-أيضاً-مقصوراً على القول فحسب، بل قد

(١) رواه البخاري ٤٢٢/١٠، ومسلم (٢٦٠٧).

يكون بالفعل، كالإشارة باليد، أو هز الرأس، وقد يكون بالسكوت.

ولا ريب أن الصدق خصلة محمودة، وسجية مرغوبة، تألفها الفطر السوية، وتدعو إليها الشرائع السماوية.

قال ابن حبان رحمته الله: «الصدق يرفع المرء في الدارين، كما أن الكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قُبِلَ كَذِبُهُ، وصار صِدْقًا عند من يسمعه- لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه؛ حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب»^(١).

وقال بعض الحكماء: «عليك بالصدق؛ فما السيف القاطع في كفِّ الرَّجُلِ الشجاع بأعزَّ من الصدق، والصدق عز، وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق»^(٢).

(١) روضة العقلاء، ص ٥٤.

(٢) (٢) المحاسن والمساوئ ص ٤٣٢.

وقيل: «الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور»^(١).

وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة.

وقال بعض البلغاء: الصادق مصان خليل، والكذب مهان ذليل.

وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق»^(٢).
وقال بعض الشعراء:

وإذا الأمور تزوجت فالصدق أكرها نتاجا
والصدقُ يَعْقِدُ فوق رأٍ سِ حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقده زنده في كل ناحية سراجاً^(٣)
وقال آخر:

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ٢٦١.

(٣) روضة العقلاء، ص ٥٣ - ٥٤.

كم حسيب كريم ذا شرف قد شانه الكذب وسط الحي
 وآخر كان صعلوكا فشرفه صدق الحديث وقول جانب
 فصار هذا شريفا فوق صاحبه وصار هذا وضيعا تحته أبدا^(١)
 وقال ابن السمّك: «ما أحسبني أؤجر على ترك الكذب؛ لأنني
 أتركه أنفة»^(٢).

وقال الشعبي: «عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك؛ فإنه
 ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك»^(٣).
 وقال بعض الحكماء: «الصدق عزُّ، والكذب خضوع»^(٤).
 وقال آخر: «لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان
 حقيقاً بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار؟!»^(٥).

(١) روضة العقلاء، ص ٥٥.

(٢) المحاسن والمساوئ، ص ٤٣٣.

(٣) المحاسن والمساوئ، ٤٣٣.

(١) (٢) المحاسن والمساوئ، ٤٣٣.

وقال طرف بن طريف: « ما يسرني أني كذبت كذبة وأنى لي الدنيا وما فيها»^(١).

وقال الشافعي رحمته الله: « آلات الرياسة خمس: صدق اللمجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة»^(٢).

وإذا كان الصدق بهذه المثابة فالواجب علينا معاشر المسلمين-أن نلزم الصدق ونتحراه، وأن نوطن أنفسنا على الأخذ به، وأن يكون هيئة راسخة، يعتمده الواحد منا في جميع أحواله، لا أن يكون موسميًا أو مرتبطًا بحالة معينة^(٣).

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/١٢٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٢.

(١) انظر الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، د. أسعد السحمراني ص ١٣٩.

الأمور المعينة على الصدق

لا شك أن التزام الإنسان الصدق في كل ما يقول ويفعل-يستلزم مشقة كبيرة، ويحتاج إلى جهد وعناء، ويتطلب صدق عزيمة، ورياضة نفس، وصبراً وشجاعة^(١).

ومهما يك من شيء فهناك أمور تعين على ذلك، ومنها:
إذا صحَّ عونُ الخالقِ المرءَ لم يجد عسيراً من الآمالِ إلا مسيراً

١- الاستعانة بالله-عز وجل : وذلك بسؤاله الإعانة

والتسديد والتوفيق ، فمن أعانه الله ، وسدده ووقفه هانت عليه
المصاعب ، وخفت عليه المتاعب ، كما قيل :

أما إذا خذل الإنسان ووكل إلى نفسه-فإنه سيخيب مسعاه ،

ويضيع جهده ، كما قيل :

إذ لم يكن عونٌ من الله فأول ما يجني عليه اجتهاده

٢- مراقبة الله واستشعار اطلاعه-جلّ وعلا : فإذا راقب

(١) انظر كتاب الأخلاق لأحمد أمين ، ص ٢٢٠.

العبدُ رِيَّهَ ، واستشعر اطلاعه عليه ، واستحضر أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد- انبعث إلى التزام الصدق ، وتجنُّبِ الكذب.

٣- تعويد النفس على الصدق ، وتوطئتها عليه : وذلك بأن يتكلف الإنسان الصدق مرة بعد مرة؛ حتى يصبح سجية له وطبعاً، قال الشاعر:

عوْدٌ لسانك قولَ الخيرِ تحظُّ به إن اللسان لما عوْدت معتادُ
مُوَكَّلٌ بتقاضي ما سننت له فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد^(١)

٤- النظر في العواقب : وذلك باستحضار فضائل الصدق العاجلة والآجلة؛ لينبعث إليه ، واستحضار قبائح الكذب العاجلة والآجلة؛ ليبعد عنه ، ويتجنبه.

٥- تنشئة الصغار على الصدق : وذلك بتحييب الصدق إليهم ، وتشجيعهم ، وحفزهم على قول الصدق ، وبتجنيبهم الكذب ، وتقبيحه في نفوسهم ، ومعاقتهم عليه.

(١) روضة العقلاء، ص ٥١.

٦- الحرص على أداء الصلاة وتكميلها، وإعطائها حقها

من الخشوع وغيره: لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والكذبُ من جملة ما تنهى عنه الصلاة من منكر؛ فإذا أعطاه الإنسان حقها نال أعلى المطالب، وأشرف المواهب، وتخلَّق بأخلاق المؤمنين وعباد الله الصالحين، والتي منها بل من أعلاها الصدق.

٧- معاشره الصادقين، ومجانبة الكاذبين: ذلك أن المعاشره

تستدعي تأثر الإنسان بمن يعاشره ويخالطه، فإذا ما عاشر الإنسانُ الصادقين الأخيارَ فإنه سيتأثر بصدقهم، وسمتهم وهديتهم؛ فالصاحب صاحب، والطبع استراق.

وكذلك إذا نأى بنفسه عن مجالسة الكاذبين فإنه سيسلم من

أثرهم السيئ، فتبقى صورة الكذب قبيحة في ذهنه.

بخلاف ما إذا عاشرهم فإنه سيأخذ من طباعهم السيئة،

وسيستمرئ الكذب، ولا يعود ينكره.

٨- الإكثار من قراءة القرآن بالتدبر والتعقل: فإذا أكثر

الإنسان من قراءة القرآن ، وحرص على تدبر معانيه ، واجتهد في تفهم مراميه- فإنه سينبعث للصدق وترك الكذب؛ ذلك أن القرآن يهدي للتي أقوم ، والتزام الصدق وترك الكذب من جملة ما هو أقوم.

أثر الصدق في سعادة الفرد^(١)

للصدق آثار حميدة، وعوائد عديدة، على الفرد وعلى الجماعة، وقد مر بنا فيما مضى شيء من ذلك، وفيما يلي إكمال لبعض ما مضى، وتأكيد عليه.

فمن آثار الصدق في سعادة الفرد ما يلي:

١- **شرف القدر، وعلو المنزلة:** فالإنسان الذي يتحلى بالصدق يشرف قدره، وتعلو منزلته؛ ذلك أن الصدق يدل على حسن السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، كما أن الكذب عنوان سفه العقل، وسقوط الهمة، وخبث الطوية.

فالصدق حسنة حميدة تنساق بصاحبها إلى الحسنات، كما أن الكذب خصلة سيئة تُنجرُ بصاحبها إلى السيئات. فلا يستقيم لأحد سؤدد، ولا تعلو له مكانة، ولا يجرز

(١) انظر رسائل الإصلاح ١٠١/٢ - ١٠٢.

قبولاً في قلوب الناس- إلا إذا وهبه الله لسان صدق.
فإذا ما ابتغى بالكذب منزلةً عليّةً- فإنما يتبوؤها بين طائفة
ضربت في أدمغتهم الغباوة، أو طائفة تُؤثرُ اللهو على الجد،
ويشغلها الخداع عن النصيحة.

٢- طيب العيش: ذلك أن الناس لا يطمئنون إلا إلى معاملة
الصادق الأمين، وشأنهم الانصرافُ عن ألقوه يضع الكلمة
في غير مواقعها.

وقد يحرص التاجر أو الصانع على درهم أو دينار يقتنصه
بكلمة غير صادقة، فإذا هو يضيع سمعة طيبة، ويخسر ربحاً
وافراً.

والناس إذا علموا صدق اللهجة من شخص أكرموه،
وأجلّوه، وسودّوه، وحرصوا على صحبته، وأصاخوا السمع
لمقولته، واستاروا برأيه، وأخذوا بنصحه.

ومن هنا تطيب حياته، ويكثر أنسه، وتسعد نفسه.

٣- صفاء البال: فصادق اللهجة يصفو باله، ويعينه صدقه

على التخلص من المكدرات ، وذلك من ناحيتين :

أولاهما: أن مرتكب الرذيلة لا بدّ وأن يحس بوخز في ضميره، ويُسمى هذا: توبيخ الضمير، والكذب من أفضح الرذائل، فوخزه في الضمير غير يسير.

ومتى سار الإنسان في طريق الصدق، وأقام بينه وبين الكذب حصناً مانعاً-عاش في صفاء خاطر، وراحة ضمير، ولم يكن لهذا الوخز النفسي عليه من سبيل.

أخراهما: أن من يلطخ لسانه برجس الكذب لا بد من أن تبدو سريرته، وتنكشف سالفته، فيجر عليه شؤم هذه الرذيلة شقوةً إثر شقوة، فلا يلاقي من الناس إلا ازدراءً ومقتاً، وربما رموه بالتوبيخ في وجهه، وأساءوا الأدب في معاملته.

أما صادق اللهجة فيظل موفور الكرامة، آمناً مما يكدر عليه صفوه.

٤- عزة النفس: فالصادق تأبى عليه نفسه الكريمة، ودينه القويم-أن يكذب، فيسلم بذلك من تبعات الكذب، وينأى

بنفسه عن ذل الاعتذار، والتماس المسوغات، التي لا بدّ للكاذب أن يقع فيها.

٥- الشجاعة والثقة في النفس: فالصدق يكسب الفرد شجاعة وثقة في النفس؛ لأن الكاذب على وجل من أن يُكشَفَ أمره، ويتبين كذبه، فتراه ذليلاً، خائفاً، مذعوراً، يحسب كلَّ صحية عليه، وكلَّ مكروه قاصداً إليه.

أما الصادق فيتحرك بخطى ثابتة، وبثقة عالية؛ فسره كعلايته، وظلمة ليله مثل ضوء نهاره.

أثر الصدق في سعادة الجماعة^(١)

وكما أن للصدق أثرًا في سعادة الفرد فكذلك له أثر في سعادة الجماعة.

فالجماعة تسعد، وتتنظم شؤونها على قدر احتفاظها بفضيلة الصدق؛ فالمعاملات كالبيع والإجارة، والقروض، والشركة لا يتسع مجالها، ولا يستقيم سيرها إلا أن تديرها لهجة صادقة.

والأمة التي يسود فيها الصدق حتى يكون القائم بأي عمل موضع ثقة الجمهور-تتقدم حالتها الاقتصادية، ولا يجد عدوها الوسيلة إلى مزاحمتها في نحو التجارة والصناعة.

والأمة الصادق أفرادها تقطع على العدو فرصة التغلغل فيها، والإيضاع خلالها؛ لإفساد وُدّها، وتفريق شملها.

والصدقات التي تجعل أفراد الأمة كالجسد الواحد-إنما يشتد رباطها، ويصلب عودها على قدر ما يكون لأفرادها من

الاحتفاظ بصدق الهمجة.

وقد يكون للكاذب صديق من صنف أصدقاء المنفعة، ولكنه لا يستطيع أن يتخذ من إخوان الفضيلة صديقاً حميماً. فالذي يستهين بالكلمة الكاذبة يطلق بها لسانه- فإنه يؤدي نفسه، ويرهق المجتمع خلافاً، ويورثه فساداً عريضاً؛ فالكاذب لا يعد عضواً أشلّ فحسب، وإنما هو عضو يحمل دماً مسموماً لا يلبث أن يسري إلى الأعضاء المتصلة به فيؤذيها.

الفهرس

٣مقدمة
٥تعريف الكذب
٦ذم الكذب وأهله
١٠من مظاهر الكذب
١٠	١-الكذب على الله ورسوله.....
١١	٢-الكذب في البيع والشراء.....
١١	٣-الكذب لإفساد ذات البين.....
١٢	٤-الكذب لإضحاك السامعين.....
١٢	٥-الكذب للمفاخرة وإظهار الفضل.....
١٣	٦-الكذب على المخالفين؛ تشفياً منهم، ونكايةً بهم..
١٣	٧-الكذب المقرون بالحسد.....
١٤	٨-الكذب في المطالبات والخصومات.....
١٤	٩-الكذب للتخلص من المواقف المحرجة.....
١٤	١٠-المبالغة في القول.....

١٤	١١- حذف بعض الحقيقة.....
١٥	١٢- الكذب على النفس.....
١٥	١٣- الكذب؛ لتسوية الأخطاء.....
١٥	١٤- الكذب؛ لاستدرار العطف، وكسب المؤيدين.....
١٦	١٥- التملق لأرباب الثراء، وأصحاب المناصب.....
١٦	١٦- الكذب في دعوى المحبة، والصدقة.....
١٧	١٧- نقل الأخبار الكاذبة.....
١٧	١٨- الكذب السياسي.....
١٩	١٩- الدجل الإعلامي.....
١٩	٢٠- التوسع في باب المصلحة.....
٢٢	٢١- المبالغة في المعارض.....
٢٤	٢٢- الكذب على الأولاد.....
٢٥	- دوافع الكذب.....
٢٦	- الحث على لزوم الصدق.....

٣١-الأمور المعينة على لزوم الصدق:
٣١١- الاستعانة بالله-عز وجل-
٣١٢-مراقبة الله، واستشعار اطلاعه، جل وعلا-
٣٢٣-تعويد النفس على الصدق، وتوطينها عليه.....
٣٢٤-النظر في العواقب.....
٣٢٥-تنشئة الصغار على الصدق.....
٦-الحرص على أداء الصلاة، وتكميلها، وإعطائها
٣٣حقها من الخشوع وغيره.....
٣٣٧-معاشرة الصادقين.....
٣٣٨-الإكثار من قراءة القرآن بالتدبر والتعقل.....
٣٥-أثر الصدق في سعادة الفرد:
٣٥١-شرف القدر، وعلو المنزلة.....
٣٦٢-طيب العيش.....
٣٦٣-صفاء البال.....
٣٧٤-عزة النفس.....

٣٨	٥- الشجاعة ، والثقة بالنفس.....
٣٩	-أثر الصدق في سعادة الجماعة.....